

قطعت العائلة من فجر الحياة الاجتماعية إلى عصرنا الحديث مراحل متعددة من التطور، شهدت خلالها تغيرات كثيرة؛ لذا ليس بوسعنا أن نقف على صورها تأريخياً؛ لكن الدراسات المتخصصة بالعائلة يمكن أن تفيدنا في تحديد بعض تلك الصور وعلى النحو الآتي:

1- المعشر: أقدم التشكيلات العائلية البشرية، ولم يكن عائلة واحدة بل يتكون من عدة عائلات تربط بينهم روابط شبه عائلية وكل معشر يختلف بعدد أفراده عن بقية المعاشر، وتكون العلاقات ضيقة بين أعضائها داخل المعشر حيث لا تعدو رجل واحد وبعض النساء والأطفال. كما هو الحال في قبائل البوشمن في أفريقيا.

2- المجتمعات التوتمية بدورها كانت عبارة عن عائلة كبيرة إلى الدرجة التي يصعب فيها التفريق بين العائلة والعشيرة لأن جميع الأفراد يرتبطون بتوتم واحد، كما هو الحال في الجماعات البدائية في وسط استراليا وشرقها.

3- العائلة المركبة: وهي العائلة التي تتضمن مجموعة من الأسر الصغيرة التي ترتبط بخط جنسي واحد وتجمع بينها إقامة مشتركة. وهناك نوع من العائلات تابع إلى العائلة المركبة وهو العائلة الممتدة التي تضم الخدم والأفراد غير الأقارب. وينتشر مثل هذا النوع من العائلات في المجتمعات البدائية.

4- العائلة الصغيرة: وهي التي تتضمن الزوج والزوجة والأطفال. وتعيش في المجتمعات المعاصرة ولا ترتبط في علاقات مع الأقارب وسوف ينصب اهتمامنا على دراسة النوعين الأخيرين من العائلات وهما العائلة المركبة والعائلة النواة.

العائلة المركبة :

العائلة المركبة تتشكل عن طريق ارتباط أسر نوية متعددة، ويظهر هذا النوع من العائلات في وحدة اجتماعية تضم ثلاثة أجيال أو أكثر، أو الأجداد والأطفال أو تضم الزوج والزوجة، والعائلات التي تتضمن تعدد الزوجات للرجل الواحد.

وقد عرفت المجتمعات البدائية والزراعية والتقليدية نمط العائلة المركبة وذلك لتلائم هذا النوع مع الحياة الاجتماعية فيها.

وتتميز العائلة المركبة ببعض الصفات لعل أهمها::

أ- تعتمد على روابط النسب .

ب- وحدة إنتاجية واستهلاكية ومكتفية ذاتياً.

ت- قائمة على أساس تقسيم العمل فكل شخص لديه وظيفة معينة.

ث- الإقامة المشتركة أو السكن المشترك حيث يقيم الأبناء بعد زواجهم مع عائلة الوالدين.

ج- سيطرة الرجل على المرأة وخضوعها إلى أوامره وأوامر العائلة.

ولهذا النظام العائلي نوعين من الإقامة هما الإقامة الأبوية والإقامة الأمومية وهناك نماذج أخرى من الإقامة نشير إليها تباعاً وعلى النحو الآتي:

أولاً- العائلة المركبة الناتجة عن الإقامة الأبوية

ويشترط إن تكوين مثل هذه النماذج من العائلات بقاء الأولاد بعد زواجهم مع الأب وفي نفس البيت، كما تلتحق معهم الزوجات والأطفال، وتمثل هذه العائلات الرابطة الدموية والتي تنحدر من خط الأب، ويوجد هذا النوع من العائلات في الوطن العربي حيث يسكن الابن مع

أهله بعد زواجه، ويكونون رهن طاعة والديهم ويشاركون إبانهم في العمل لاسيما في الأرياف. ولكن حصلت بعض التغيرات في مثل هذه العائلات في المناطق الحضرية.

وعموماً فإنّ هذا النوع من العائلات عرفت المجتمعات البدائية بعد استقرارها واكتشافها الزراعة حيث يحتاج العمل الزراعي إلى أعداد سكانية كبيرة إضافة إلى أنّ هذه الجماعات العائلية تحتاج إلى حماية وصد الهجمات القادمة من الجماعات الخارجية.

ثانياً: العائلة المركبة الناتجة الإقامة الأمومية

ونعني في الإقامة الأمومية بقاء الفتاة عن أهلها بعد زواجها والتحاق الزوج بها من الناحية الاجتماعية، وتصبح العائلة على هذه الصورة (الام+ أطفالها وأطفال بناتها + أطفال أطفال بناتها).

ومثل هذه العائلات يمكن أن يسهم في توفير الضمان والاستقرار للعائلة وأفرادها؛ لكنها في نفس الوقت لا تشجع الفردية والتحرر من الالتزامات القروية

وسادت هذه العائلات في المجتمعات البدائية كثيراً لكنها انحسرت كثيراً في الوقت الحاضر لاسيما في العالم العربي ولكن مع هذا قد يعيش بعض الرجال مع أهل زوجاتهم ولكن مثل ذلك غير مقبول ويعاب على الرجل إلا في حالات استثنائية مثل الخصومات التي تحدث بينه وبين أهله.